المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مجلة
الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العدد ١٦٤ - السنة ٤٦ - ١٤٣٤هـ

رقم الإيداع ١٤/٠٠٩٢
تاريخه ١٤١٤/١/٢٢هـ

موقع الجامعة الإسلاميّة www.iu.edu.sa
بريد الإنترنت mag4iu2@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطّبع محفوظة لمجلّة الجامعة الإسلاميّة

قواعد نشر البحوث العلميّة في مجلّة الجامعة

أ – أن تكون جديدة؛ لم يسبق نشرها .

ب– أن تكون خاصّة بالمجلّة .

ج– أن تكون أصيلة؛ من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

د – أن تُراعىٰ فيها قواعد البحث العلميّ الأصيل ، ومنهجيّته.

هـ– أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة، قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلميّة في (الدّكتوراه) أو (الماجستير) .

و – أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة للإصدار الواحد، ولا يَقِلُّ عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلّة الاستثناء عند الضّرورة .

ز – أن تُصَدَّرَ بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتّعريف بها .

ح– أن يرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها ؛ تبيّن عمله، وعنوانه، وأهمّ أعماله العلميّة.

ط– أن يُقَدّم صاحبها خمس نسخ منها .

ي– أن تُقَدّم مطبوعة وفق المواصفات الفنّيّة التّالية:

١– البرنامج وورد XP أو ما يماثله .

٢– نوع الحرف Traditional Arabic

٣– نوع حرف الآية القرآنيّة decotype Naskh Special

٤– مقاس الصّفحة الكلّي : ١٢سم × ٢٠سم (بالرّقم)

٥– حرف المتن: ١٦ أسود .

٦– حرف الهامش : ١٤ أبيض.

٧– رأس الصّفحة : ١٢ أسود .

٨– العنوان الرّئيسيّ : ٢٠ أسود.

٩– العنوان الجانبي : ١٨ أسود.

١٠– الأقراص تكون من النّوعيّة الجيّدة، ويكون حفظ الملفّات علىٰ نظام DOC.

ك – أن يُقَدّم البحث - في صورته النّهائيّة - في ثلاث نسخ؛ منها نسختان علىٰ قرصين مستقلّين ، ونسخة علىٰ ورق .

ل– لا تلتزم المجلّة بإعادة البحوث لأصحابها ؛ نشرت أم لم تنشر .

عنوان المراسلات

تكون المراسلات باسم رئيس التحرير:

(ص ب ١٧٠ المدينة المنوّرة هاتف وفاكس ٨٤٧٢٤١٧

البريد الإلكتروني mag4iu2@gmail.com)

مجلة

الجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

رئيس التحرير أ.د. مُحَمَّد بن يَعْقُوب التُّركِستانيّ

الأعضاء أ.د. عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُغَذَّوِيُّ

أ.د. عَبْدُ اللهِ بْنُ مُعْتِقٍ السِّهْلِيُّ

أ.د. مُلْفِي بْنُ نَاعِمٍ الصَّاعِدِيُّ

أ.د. حَافِظُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيُّ

د. عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ مُسَاعِدٍ الزَّهْرَانِيُّ

سكرتير التحرير أ. خَالِدُ بْنُ مُقْبِلٍ الصَّاعِدِيُّ

الموادّ المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها

ص ٩

مُحْتَوَيَاتُ الْعَدَدِ

الْمَوْضُوعُ	الصَّفْحَةُ

- **تَأَمُّلَاتٌ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ:**

للدّكتور علي بن عمر بن محمّد السّحيباني ١١

- **مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنَ الْخَوْضِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**

للدّكتور سعد بن عبد الله الماجد ٧٥

- **مُصْطَلَحُ « بَابَةِ فُلَانٍ » عِندَ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ مَعْنَاهُ وَدِرَاسَةٌ مُقَارِنَةٌ عَلَيْهِ**

للدّكتور خالد محمود علي الحايك ١٦١

- **جَوَانِبُ الْوَسَطِيَّةِ فِي دَعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ – رَحِمَهُ اللَّهُ –**

للدّكتورة أسماء بنت عبد العزيز الدّاود..... ٢٣٩

- **مَوَانِعُ الْحَمْلِ الْمُؤَقَّتَةُ فِي ضَوْءِ مَقَاصِدِ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ**

للدّكتور ماهر ذيب أبو شاويش ٣٤٣

- **دُخُولُ هَمْزَةِ الْاِسْتِفْهَامِ عَلَى الْوَاوِ وَالْفَاءِ وَثُمَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ فِي التَّرْكِيبِ وَالدِّلَالَةِ**

للدّكتور صلاح عبد المعزّ أحمد العشيريّ ٤١٩

- **اَلذَّاتِيَّةُ وَالْغَيْرِيَّةُ فِي شِعْرِ الْقَتَّالِ الْكِلَابِيِّ (دِرَاسَةٌ أَدَبِيَّةٌ)**

للدّكتور أحمد بن محمّد بن إبراهيم اليحيى ٥١٩

ص ١٠

تَأَمُّلَاتٌ فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ

إِعْدادُ:

د. عليّ بن عمر بن محمّد السّحيباني

الأستاذ المشارك بكلّيّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة في جامعة القصيم

المقدمة

"إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" [(١)].

أما بعد: فإن القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي دُرره ، فكلما ازداد المسلم له تدبرا وتأملا كلما ازداد إيمانا به وتعظيما له وانتفاعا بعبره ومواعظه واستنتاجا لفوائده وهداياته، والتقاطا لدرره وجواهره، وهو مأدبة العلماء، فكل ينهل منه على حسب تخصصه، وقد اعتنى العلماء قديما وحديثا بعلوم هذا الكتاب العزيز، فأحببت أن أشارك في خدمة هذا الكتاب في الوقوف على بعض معاني سوره، وقد وقع اختاري على سورة المدثر، وذلك لعدة أسباب أُلخصها فيما يلي:

أهمية البحث وسبب اختياره: يرجع سبب اختيار هذه السورة :لأنها من أوائل سور القرآن نزولا، فهذه الأولوية تجعل لها مرتبة ومنزلة عالية ، ولأهمية المواضيع التي تحدثت عنها سواء في ما يخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وامتثاله لأمر ربه عز وجل ، أو في حال الكفار وموقفهم من هذا الدين والداعي إليه ، ولأنني لم أجد حسب علمي من أفرد هذه السورة ببحث مستقل يستوفي جل مباحثها ، ويكشف عن أغراضها.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح باب في خطبة النكاح ٢/٥٩١ح٢١١٨،وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/٣٩٩ح١٨٦٠.

أما الهدف من هذا البحث: فهو خدمة كتاب الله عز وجل ، والطمع في الأجر المترتب على ذلك ، والرغبة في الوصول إلى تفسير مفصل لهذه السورة العظيمة ، وإثراء المكتبة العلمية بمثل هذه البحوث الخاصة.

أما منهجي في البحث: فقد سرت على الخطوات التالية:

قسمت السورة إلى مقاطع متناسبة حسب مواضيعها، وجعلت لكل مبحث عنوانا يناسب مضمونه.

اجتهدت في تتبع أقوال السلف في تفسير الآيات واختيار القول الراجح.

أثبت الآيات بالرسم العثماني.

خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها قدر الإمكان، مع محاولة ذكر حكم العلماء عليها إذا كانت في غير الصحيحين.

وثقت النصوص ونسبت الأقوال إلى أصحابها.

حاولت الترجيح بين الأقوال عند تعددها، أو ظهور التعارض بينها.

أفدت من المراجع القديمة لأصالتها ، مع محاولة الإفادة من الجديد

أتبعتُ كل مبحث بالفوائد والأحكام المستنبطة من تلك الآيات.

وقد سميت هذا البحث: تأملات في سورة المدثر، وقسمته تسعة مباحث، ثم الخاتمة والفهارس.

خطة البحث:

المبحث الأول: أهداف السورة وسبب نزولها ووقته.

المبحث الثاني: تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم والتلطف معه وإرشاده.

المبحث الثالث: الوعيد الشديد لزعيم الكفار الوليد بن المغيرة.

المبحث الرابع: النار المتوعَّد بها الكفار و أوصافها.

المبحث الخامس: الحكمة من عدد خزنة جهنم.

المبحث السادس: مع الأيمان الثلاثة.

المبحث السابع: مع النفس المرتهَنة بكسبها.

المبحث الثامن: تساؤل أهل الجنات عن سبب دخول المجرمين النار.

المبحث التاسع: تَعنُّت الكفار، وحرمانهم من الشفاعة يوم القيامة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول: أهداف السورة و سبب نزولها ووقته:

تتلخص أهداف السورة في النقاط التالية:

١- ملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم وتكريمه.

٢- الأمر بإبلاغ الدعوة ، وإعلان وحدانية الله.

٣- الأمر بالتطهر الحسي والمعنوي ، ونبذ الأصنام.

٤- التوجيه إلى الإكثار من الصدقات ، والأمر بالصبر.

٥- إنذار المشركين بأهوال البعث.

٦- التهديد والوعيد لمن طعن بالقرآن وزعم أنه من قول البشر.

٧- وصف جهنم وأهوالها.

٨- الرد على المشركين الذين استخَفُّوا بالنار وزعموا قلة عدد خزنتها.

٩- تأييس الكفار من التخلص من العذاب، وتمثيل ضلالهم في الدنيا.

١٠- مقابلة حال الكفار بحال المؤمنين أهل الصلاة والزكاة والتصديق بيوم الدين[١].

سبب نزول السورة:

أخرج البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمه بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال: يا أيها المدثر، قلت: يقولون :اقرأ بسم ربك الذي خلق، فقال أبو سلمه: سألت جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – عن ذلك وقلت له مِثْلَ الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٩٣/١٤.

صلى الله عليه وسلم، قال: جاورتُ بحراء، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجةَ فقلتُ: دثِّروني وصُبُّوا عليَّ ماء باردا. قال :فدثَّروني وصَبُّوا عليَّ ماء باردا، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾[1].

أما وقت نزولها:

فتعتبر هذه السورة الثانية في ترتيب نزول القرآن.

فقد أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُحدِّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت[2] منه رعبا، فرجعت فقلت: زَمِّلوني فَدَثَّروني، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ إلى ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾[3].

قال ابن كثير: وخالف الجمهورُ قولَ جابر، فذهبوا إلى أن أول القرآن

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة المدثر ٦/٧٤، ح٤٩٢٢.

(٢) فجئثت أي: فزعت ورعبت ،وكذا جثثت، قال الخليل والكسائي: جُئث وجُثَّ فهو مجئوث ومجثوث أي: مذعور فَزِعٌ . حاشية صحيح مسلم لـ محمد فؤاد عبد الباقي ١/١٤٣.

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة المدثر ٦/٧٤،ح ٤٩٢٦، وصحيح مسلم كتاب بدء الوحي إلى رسول الله ١/١٤٣،ح ٢٥٥ ودلائل النبوة للبيهقي باب أول سورة نزلت من القرآن ٢/١٥٥.

نزولا قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[1].

ووجه الجَمْع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة[2].

وقال ابن حجر: (ورواية الزُّهري عن أبي سلمه عن جابر تدل على أن المراد بالأَوَّليَّة في قوله: أول ما نزل سورة المدثر، أوَّلية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر بالإنذار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة، فكأن مَن قال: أول ما نزل اقرأ، أراد أولية مطلقة، ومن قال: إنها المدثر، أراد بقيد التصريح بالإرسال)[3].

وقال ابن القيم: (وقد دل حديث جابر على تأخر نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ والحجة في روايته ، لا في رأيه) [4].

أما فترة الوحي فاختُلف فيها:

فقيل إنّ مدتَها سنتان ونصف[5]

وقيل: أربعون يوما[6].

---

(١) سورة العلق الآية (١).

(٢) تفسير ابن كثير ١٥٣/٧.

(٣) فتح الباري ٦٧٨/٨.

(٤) الضوء المنير على التفسير ٢١٠/٦.

(٥) ينظر الزيادة والإحسان في علوم القرآن ١٩٦/١،والتحرير والتنوير ٢٩٣/١٤.

(٦) ينظر بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ٤٨٦/٣، والتفسير الكبير للرازي ٢١٠/٣١، ومعالم التنزيل ٤٥٣/٨، والبسيط للواحدي ١٠٢/٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٩٢/٢٠، والزيادة والإحسان في علوم القرآن ١٩٦/١، والتحرير والتنوير ٢٩٣/١٤.

وقيل: خمسة وعشرون يوما[١].

وقيل: خمسة عشر يوما[٢]؛ وقيل: ثلاثة أيام[٣].

والأرجح –والله أعلم–: قول ابن عباس أنها كانت أربعين يوما؛ وذلك لاستبعاد القول بأنها سنتان ونصف، وهذه مدة طويلة، ولم تثبت عن أحد من طريق صحيح، وأما القول بأنها ثلاثة أيام فقد ضَعَّف هذا القول ابنُ حجر وقال: (لعل القائل بذلك اختلط عليه الفترة التي كانت في سبب نزول سورة الضحى، بالفترة التي كانت في أول نزول الوحي، فإن التي في سورة الضحى لم تدم إلا ليلتين أو ثلاثا، بخلاف ما هنا فإنَّها دامت أياما) [٤].

وأخرج البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يحدِّث عن فترة الوحي، قال في حديثه:(بينا أنا أمشي،سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملَك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، ففَرِقتُ

(١) ينظر التفسير الكبير للرازي ٢١٠/٣١،والجامع لأحكام القرآن ٩٢/٢٠.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ٢٧٣/٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٣٩/٥،والتفسير الكبير للرازي ٢١٠/٣١، والبسيط للواحدي ١٠٣/٢٤، ومعالم التنزيل للبغوي ٤٥٣/٨، والجامع لأحكام القرآن ٩٢/٢٠، والزيادة والإحسان في علوم القرآن ١٩٦/١، والتحرير والتنوير ٢٩٣/١٤.

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري ٧١٠/٨: قد اختلط على بعض الرواة الفترة التي كانت في أول بدء الوحي، والفترة المذكورة في سبب نزول سورة الضحى، والحق أن الفترة الأولى دامت أياما، أما التي في سورة الضحى فلم تستمر إلا ليلتين أو ثلاثا.

(٤) فتح الباري ٧١٠/٨،و ينظر البسيط ١٠٢/٢٤،و الزيادة والإحسان ١٩٧/١،والتحرير والتنوير ٢٩٣/١٤.

منه، فرجعت فقلت: زمِّلوني، فدثروه، فأنزل الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾

قال أبو سلمه :وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون،قال:ثم تتابع الوحي)[1].

المبحث الثاني: تكريم النبي صلى الله عليه وسلم والتلطُّف معه وإرشاده.

الأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفا عند المتكلم، فلا يُعدَل عن الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصِده البلغاء، من تعظيم وتكريم، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ أو تلطُّفٍ وتقرب، نحو: يا بني، ويا أبت، أو قَصْدِ تهكُّمٍ نحو: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (الحجر:٦) فإذا نودي المنادى بوصفِ هيئتِه من لِبسة أو جِلسة أو ضِجعة كان المقصود في الغالب التلطف به، والتحبب إليه ولهيئته، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه– وقد

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب وثيابك فطهر ٦/٧٥،ح٤٩٢٥، ومسلم في كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ١/١٤٣،ح٢٥٥، وأحمد في المسند ٢٢/١٩٢،ح١٤٢٨٧، والترمذي في أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة المدثر ٥/٤٢٨،ح٣٣٢٥، والنسائي في الكبرى ٦/٥٠٢،ح١١٦٣١وفي التفسير٢/٤٧٦،وأورده الواحدي في البسيط٢٢/٣٩٣، وفي أسباب النزول ص٣٣٠،وانظر المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة ٢/١٠٥٢.

وجده مضطجعا في المسجد وقد علق تراب المسجد بجنبه:(قم أبا تراب)[١].

وقوله لعبد الرحمن بن صخر الدوسي – رضي الله عنه – وقد رآه حاملا هرة صغيرة في كمه: (يا أبا هريرة)[٢].

فهنا نودي النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه في حالة خاصة كان متلبِّسا بها عند نزول السورة، وهي أنه لما رأى الملَك بين السماء والأرض فَرِق من رؤيته، فرجع إلى خديجة فقال: دثِّروني دثِّروني، والدثار: بكسر الدال: الثوب الذي يُلبس فوق الثوب الذي يُلبس مباشرا للجسد الذي يسمى شعارا[٣].وفي الحديث(الأنصار شعار والناس دثار)[٤].

وبعد تكريم النبي صلى الله عليه وسلم وملاطفته:أرشده الله إلى القيام بالإنذار فقال:﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ والمراد بالقيام هنا: هو قيام العزم والتصميم والشروع بما أُمر به، من غير تخصيص له بأحد [٥]؛ وذلك لما يحتاج إليه القائم بالدعوة من الطاقة والجهد، ومن الصبر على الأذى والمشقة في سبيل الدعوة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد ١١٣/١ ح٤٤١، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٧٥/٢ ح٢٤٠٩.

(٢) ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث يلقب فيها أبا هريرة بهذا اللقب فمن ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز ٦٣/٣ ح٢٣١١.

(٣) غريب الحديث، لأبي عبيد الهروي ١٨٧/١، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ١٠٠/٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الطائف ١٠٤/٥؛ح٤٣٣٠.

(٥) الكشاف للزمخشري ٤ /١٥٦.

ثم أمره بالتكبير فقال: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ وانتصب ﴿وَرَبَّكَ﴾ على المفعولية لفعل (كبر)، قُدِّم على فاعله لإفادة الاختصاص، أي: لا تكبر غيره، وهو قَصْر إفراد، أي: دون الأصنام، وتكبير الرب: تعظيمه أي: صِفْ ربك بصفات الكمال، والتعظيم بالقلب، والثناء عليه باللسان، بأقصى غايات المدح والبيان، والخضوع له بغاية العبادة كالسجود له ذلة وخضوعا، وهذا القول وإن كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة، فإنه مراد به التكبير والتقديس ، والتنزيه بخلع الأنداد والأصنام دونه، ولا تتخذ وليا غيره؛ لأنه لم تكن صلاةٌ عند نزول هذه السورة وإنما كان ابتداءُ التوحيد، والمعنى: المداومة على ذكر الله في كل زمان و على كل حال، وتكبير الرب: تعظيمه أي:صف ربك بصفات التعظيم، وهذا يشمل تنزيهه عن النقائص، ووصفَه بصفات الكمال، فمعنى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: صِفْ ربك بصفات التعظيم، وهذا يشمل توحيده بالإلهية وتنزيهه عن الولد، ويشمل وصفَه بصفات الكمال كلها، ومعنى "كبر": كبره في اعتقادك، وكبره بقولك تسبيحا وتعليما، ويشمل هذا المعنى أن يقول:"الله أكبر" لأنه إذا قال هذه الكلمة أفاد وصف الله بأنه أكبر من كل كبير، أي: أَجَلُّ وأَنْزَهُ من كل جليل، ولذلك جُعلَت هذه الكلمة افتتاحا للصلاة[1].

وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها أذانا وصلاة وذكرا، وعند الذبح، وعند رمي الجمار، ففي هذا اللفظ إعلان للتوحيد في جميع المواطن.

(١) أحكام القرآن ،لابن العربي ١٨٨٦/٤، والتحرير والتنوير ٢٥٦/٢٩.

قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيها ثمانية أقوال:

الأول: قال قتادة ومجاهد: نفسك طهر من الذنب، والثياب: عبارة عن النفس، قال عكرمة: يقول: ألْبِسْها على غير غَدْرة وغير فَجْرة، وقال : أما سمعت قول الشاعر:

وإني بحمد الله لا ثوبَ فاجر لبست ولا مِن غَدرةٍ أتقنَّعُ[١]

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء: إنه طاهر الثياب، وتقول لمن غدر: إنه لدَنِس الثياب [٢].

الثاني: أن المراد بالثياب: الملبوسات،وهذا مروي عن ابن عباس– رضي الله عنهما – والمعنى: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب[٣].

الثالث: العمل، أخرج ذلك الطبري عن مجاهد وأبي رَزِين، قال: يقول: وعملَك فأَصلِحْ، قال: وإذا كان الرجل خبيث العمل قالوا إن فلانا خبيث الثياب، وإذا كان حسن العمل قالوا: إن فلانا طاهر الثياب[٤].

الرابع: اغسل ثيابك بالماء وطهرها من النجاسة، أخرج ذلك الطبري عن

---

(١) البيت لغيلان بن سلمة، في جامع البيان للطبري ١٤٥/٢٩، وتهذيب اللغة للأزهري مادة (ثاب) ١٥٤/١٥،وكتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ١٩٠/٢،ومعالم التنزيل للبغوي ٢٦٤/٨.

(٢) جامع البيان للطبري٠ ٤٠٦/٢٣، وكتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ١٩٠/٢، ومعالم التنزيل للبغوي ٢٦٤/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٤/٧.

(٣) جامع البيان للطبري ٤٠٨/٢٣، وأحكام القرآن لابن العربي ١٨٨٧/٤،وزاد المسير ٤٠٠/٨،والجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٩.

(٤) جامع البيان للطبري ٤٠٩/٢٣، وزاد المسير ٤٠١/٨، والجامع لأحكام القرآن ٦٢/١٩.

ابن سيرين وابن زيد، قال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمر الله نبيه أن يتطهر ويطهر ثيابه.

قال ابن جرير: (وهذا القول الذي قاله ابن زيد وابن سيرين في ذلك أظهرُ معانيه)[1].

الخامس: قلبَك فطهر: قاله ابن عباس وسعيد بن جبير – رضي الله عنهما– كما قال امرؤ القيس:

وإن تك قد ساءتكِ مني خَليقةٌ فَسُلِّي ثيابي من ثياب تَنسلِ[2]

السادس: خلقَك فَحَسِّنْ، قاله محمد بن كعب القُرظي والحسن البصري [3].

السابع: دينَك فطهر،ذكر ذلك القرطبي، واستدل بما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ورأيت الناس وعليهم ثياب، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، ورأيت عمر بن الخطاب وعليه إزار يجره، قالوا: يا رسول الله فما أوَّلتَ ذلك؟ قال: الدين)[4].

الثامن: الأهل، ويكون تأويل الآية: وأهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ

---

(١) جامع البيان ٤٠٩/٢٣،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٤/٧، وزاد المسير لابن الجوزي ٤٠١/٧.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٤٠١/٧، والجامع لأحكام القرآن ٦٣/١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٤/٧، وديوان امرئ القيس ص١٣، وتهذيب اللغة مادة (ثوب)١٥٤/١.

(٣) زاد المسير ٤٠١/٧، والجامع لأحكام القرآن ٦٤/١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٤/٧.

(٤) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١١/١ ح٢٣، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر بن الخطاب.١٨٥٨/٢ح٢٣٨٩.

والتأديب، والعرب تسمي الأهل ثوبا ولباسا وإزارا، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾البقرة: ١٨٧ ولهم في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: معناه نساءك فطهر، باختيار المؤمنات العفائف.

الثاني: الاستمتاع بهن في القُبل دون الدبر، في الطهر لا في الحيض[١].

قال ابن العربي: (ليس بممتنع أن تُحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الثياب المعلومة الظاهرة فهي تتناول معنيين:

أحدهما: تقصير الأذيال، فإنها إذا أرسلت تدنست؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لغلام من الأنصار وقد رأى ذيله مسترخيا: (يا غلام،ارفع إزارك، فإنه أتقى وأنقى وأبقى)[٢]،

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين،وما كان أسفل من ذلك ففي النار)[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/٦٤.

(٢) معنى أتقى:أي أتقى لله، وأنقى :أي أنقى لثوبك، بحيث يبقى نقيا لا يتسخ بخلاف ما إذا كان طويلا ينجر على الأرض، وأبقى:أي أبقى لثوبك فلا يتمزق إذا كان طويلا ينسحب على الأرض فإنه يتمزق ويتلف سريعا.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب في قدر موضع الإزار ٤/٣٥٣،ح٤٠٩٣،وأخرجه ابن ماجه في كتاب اللباس باب موضع الإزار أين هو ٢/١١٨٣،ح٣٥٧٣،وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/٧٧١،ح٣٤٤٩،وفي صحيح الجامع الصغير ١/٣١٤،ح٩٣٢،وفي مشكاة المصابيح كتاب اللباس الفصل الثاني ٢/١٢٤٣،ح٤٣٣١.

والمعنى الثاني: غسلها من النجاسة؛ وهو ظاهر منها صحيح فيها)[1].

وقال ابن القيم: (الآية تعم هذا كله،وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم، إن لم تتناول ذلك لفظا فإن المأمور به إن كان طهارةَ القلب، فطهارةُ الثوب وطيبُ مكسبه تكميلٌ لذلك، فإن خبث الملبس يُكسِب القلب هيئة خبيثة، كما أن خُبث المطعم يُكسبه ذلك،ولذلك حُرِّم لبس جلود النمور والسباع بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في عدة أحاديث صحاح لا مُعارض لها، لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات، فإن الملابسة الظاهرة تَسري إلى الباطن، ولذلك حُرِّم لبس الحرير والذهب على الذكور لما يَكتسب القلبُ من الهيئة التي تكون لِمَن ذلك لِبسُه من النساء وأهل الفخر والخُيلاء.

والمقصود: أن طهارة الثوب وكونه من مكسب طيب هو من تمام طهارة القلب وكمالها، فإن كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها، فالمقصود لنفسه أولى أن يكون مأمورا به، وإن كان المأمور به طهارةَ القلب وتزكية النفس، فلا يتم إلا بذلك فتُبيَّنُ دلالةُ القرآن على هذا وهذا) [2].

وهذا من بلاغة القرآن حيث إن الجملة الواحدة منه دلت على جميع هذه المعاني.

قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ بضم الراء، والمفضَّل مثله.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٨٨٧/٤،ومعالم التنزيل١٨/٤٠٠،وزاد المسير٢٦٥/٨والجامع لأحكام القرآن٦٤/١٩.

(٢) الضوء المنير على التفسير ٢١٦/٦.

وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: (والرجز) بكسر الراء.

وحُجة من كسر أنه جَعل (الرجز): العذاب، والمعنى: أنه أمر أن يُهجر ما يَحِلُّ العذاب من أجله، والتقدير: وذا الرجزِ فاهجر، وهو الصنم، وحَسُن إضافة الصنم إلى العذاب؛ لأن عبادته تؤدي إلى العذاب،وقيل:هما لغتان في العذاب كـ" الذّكر والذُكر "[١].وقال ابن جرير:(والصواب من القول في ذلك:أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب)[٢].

فإذا قُرئت بضم الراء فالمراد بها: الأصنام والأوثان، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهري، والسدي، وابن زيد – رضي الله عنهم – والمعنى: اهجرها ولا تقربها[٣].

وإذا قرئت بكسر الراء فالمعنى:النجاسة والمعصية،قاله أبو العالية والربيع.

وقال الزجاج: الرجز في اللغة: العذاب، ومعنى الآية: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله [٤].

قوله: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾فيها أربعة أقوال:

أحدها: لا تُعطِ عطية تَلتمِس بها أفضلَ منها، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة.

---

(١) ينظر الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣٣٨/٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي ٣٤٧/٢.

(٢) جامع البيان للطبري ٤١٠/٢٣.

(٣) جامع البيان للطبري ٤١٠/٢٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٤٠١/٨، ومعالم التنزيل للبغوي ٢٦٥/٨.

(٤) جامع البيان للطبري ٤١١/٢٣، زاد المسير ٤٠٢/٨، ومعالم التنزيل ٢٦٥/٨.

قال المفسرون: معناه: أعط لربك وأرد به الله، فأدَّبه بأشرف الآداب، ومعنى: لا تمنن: لا تُعطِ شيئا من مالك لتُعطَى أكثر منه، وهذا الأدب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وليس على أحد من أمته إثم أن يُهدي هدية يرجو بها ثوابا أكثر منها.

الثاني: لا تَمنن بعملك تستكثره على ربك، قاله الحسن.

الثالث: لا تضعُف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد .

الرابع: لا تمنن على الناس بالنبوة لتأخذ عليها منهم أجرا، قاله ابن زيد.

قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح، قال:وإنما قلتُ: ذلك أولى بالصواب؛ لأن ذلك في سياق آيات تَقدَّم فيهن أمرُ الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالجهد في الدعاء إليه، والصبر على ما يَلقَى من الأذى فيه، قال: فهذه بأن تكون من أنواع تلك أشبهُ منها بأن تكون من غيرها [1].

ولعل الأقوال التي ذُكرت كلَّها تدخل في معنى الآية؛لأن اللفظ لم يُخصص، بل جاء عاما فيشمل كل ما قيل في وجوب إخلاص العمل وعدم المَنِّ به، وكذا وجوب الاستكثار من العمل.

قوله: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ قيل: اصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله.

قال مجاهد: فاصبر على ما أوذيت.

---

(١) جامع البيان ٢٣/٤١٢_٤١٧،وزاد المسير لابن الجوزي٨/٤٠٢، ومعالم التنزيل للبغوي ٨/٢٦٥، والبسيط للواحدي ٢٢/٤٠٧.

وقال ابن زيد: معناه: حُمِّلتَ أمرا عظيما، محاربةَ العرب والعجم، فاصبر عليه لله عز وجل، وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله[١].

ما يستنبط من الآيات:

١- ملاطفة الحبيب لحبيبه،لما فيها من الإيناس والراحة ،وإدخال السرور عليه.

٢- وجوب أخذ الأمور المهمة بعزم وقوة.

٣- أن من شروط المنذِر أن يكون قويا وذا همة عالية، ليقوى تأثيره في المدعوين.

٤- أن أول ما يجب على الداعية هو إعلان التوحيد،وإفراد الله بالعبادة.

٥- حُسن مظهر الداعية وطهارة ثيابه لها تأثير في من يدعوهم.

٦- يجب على الداعية هجر النجاسات الحسية والمعنوية، وكلِّ ما يُخلِّ بتوحيده.

٧- إظهار الشكر لله والاعتراف بالنعمة، وعدم المنة باستكثار ما يعمله العبد لربه.

٨- وجوب الصبر على المشقة والأذى تجاه ما يقوم به العبد لله.

(١) جامع البيان للطبري ٢٣/٤١٧، وزاد المسير ٨/٤٠٣.

المبحث الثالث: الوعيد الشديد لزعيم الكفار الوليد بن المغيرة.

قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾، أي: نفخ في الصور، وهو القَرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، يعني النفخة الثانية [1].

أخرج ابن أبي شيبة، والطبراني، وابن مردويه، عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال:لما نزلت: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(كيف أَنعمُ وصاحب الصور قد التقم القرن وحَنَى جبهته يستمع متى يؤمر؟ قالوا :كيف نقول يا رسول الله؟قال:قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)[2].

ووصف اليوم بالعسير باعتبار ما يحصل فيه من العُسر على الحاضرين فيه، فهو وصف مجازي عقلي ، وإنما العسير ما يقع فيه من الأحداث، وفائدة هذا التأكيد: ما يُشعر به لفظ "غير" من المغايرة فيكون تعريضا بأن له حالة أخرى، وهي اليُسر، أي: على المؤمنين، ليجمع بين وعيد الكافرين وإغاظتهم،

---

(١) ينظر الوسيط للواحدي ٣٨١/٤، ومعالم التنزيل للبغوي ٢٦٦/٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٢/١٠، والمعجم الكبير للطبراني ١٢٨/١٢،ح١٢٦٧١،١٢٦٧٠،ومسند الإمام أحمد ١٤٤/٥، ١٤٥ح٣٠٠٨،وقال محققوه:حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية.وهو ابن سعد بن جنادة العوفي، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الأهوال ٥٥٩/٤، وضعفه وكذا ضعفه الذهبي لضعف عطية.

وبشارة المؤمنين [١].

قوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ أي غير هين، ويهون على المؤمنين، قال ابن عباس: يريد أن ذلك اليوم على المؤمنين سهل، وهذا يدل على صحة القول بفحوى الخطاب، حيث فهم ابن عباس، من عسره على الكافر سهولته ولينه على المؤمن [٢].

قوله: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾

هذه الآيات نازلة بسبب خاص، وهو قول الوليد بن المغيرة في القرآن ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

أخرج الطبري والحاكم عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، وكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال له: يا عم :إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قِبَله. فقال: قد علمَت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يُبلغ قومك أنك منكر له وكاره.قال:وما ذا أقول؟ فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني،ولا أعلم بِرَجَزها وبقَصيدها مني؛والله ما يُشبه الذي يقول شيئا من هذا،والله إن لِقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة؛ وإنه لمثمر أعلاه، مُغدق أسفله، وإنه ليعلوا وما يُعلى. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال:فدعني حتى أفكر فيه: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ يأثره عن غيره.

(١) ينظر: الكشاف ١٥٧/٤،والتحرير والتنوير ٣٠١/٢٩.

(٢) ينظر: البسيط ٤١٥/٢٢.

فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ الآيات كلها [1].

وذلك أنه اجتمع نفر من قريش فيهم أبو لهب، وأبو سفيان، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والمطعم بن عدي ، فقالوا: إن وفود العرب ستقدُم عليكم في الموسم، وهم يتساءلون عن أمر محمد وقد اختلفتم في الإخبار عنه ،فمن قائل يقول: مجنون، وآخر يقول: كاهن، وآخر يقول: شاعر، وتَعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد، فسَمُّوا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسمِّيه العرب به، فقام رجل منهم فقال: شاعر، فقال الوليد بن المغيرة: سمعت كلام ابن الأبرص، وأمية ابن أبي الصلت وعرفت الشعر كله، وما يُشبِه كلامُ محمد كلامَ شاعر، فقالوا: كاهن، فقال الوليد: ما هو بزَمزمة الكاهن ولا بسَجْعه، والكاهن يَصدق ويَكذب وما كَذَب محمد قط، فقام آخر فقال: مجنون، فقال الوليد: لقد عرفنا الجنون، فإن المجنون يُخنَق فما هو بخَنْقه ولا تَخالُجِه ولا وَسْوَسته، فقالوا : ساحر فقال الوليد: لقد رأينا السُّحَّار وسِحْرَهم فما هو بنَفْثِه ولا عَقْدِه، قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لَحَلاوة، وإن أصله لمُغْدق، وإن فرعه لجَنًى، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول لأن تقولوا: هذا ساحر، وانصرف الوليد إلى بيته، فدخل عليه أبو جهل فقال: ما لك يا أبا

(١) جامع البيان للطبري ٢٩/٩٦، والمستدرك للحاكم ،وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ٢/٥٠٦، وأسباب النزول للواحدي ص٤٧٥، ومعالم التنزيل للبغوي ٨/٢٦٦، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص٢٢٣،وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/١٩٨، ١٩٩.

عبد شمس أصبأت؟ فقال الوليد: فكرت في أمر محمد وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: هو ساحر جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته [١].

وتصدير الجملة بفعل﴿ ذَرْنِي ﴾ إيماء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه كان مهتما ومغتما مما اختلقه الوليد بن المغيرة ، والوحيد:المنفرد عن غيره في مكان أو حال مما يدل عليه سياق الكلام أو شهرةٌ أو قصة، وكان الوليد بن المغيرة يلقَّب في قريش بالوحيد، لتوحده وتفرده باجتماع مزايا له لم تجتمع لغيره من طبقته وهي: كثرة الولد وسعة المال ومجده ومجد أبيه من قبل ، وكان مرجع قريش في أمورهم؛ لأنه كان أسن من أبي جهل وأبي سفيان، فلما اشتهر بلقب الوحيد كان هذا الكلام إيماء إلى الوليد بن المغيرة المشتهِر به. وجاء هذا الوصف بعد فعل ﴿خَلَقْتُ ﴾ليصرف هذا الوصف عما كان مرادا به، فينصرف إلى ما يصلح لأن يقارِن فعل ﴿خَلَقْتُ ﴾ أي: أوجدته وحيدا عن المال والبنين والبسطة ، فيُغيَّر عن غرض المدح والثناء الذي كانوا يخصونه به، إلى غرض الافتقار إلى الله، الذي هو حال كل مخلوق[٢].

وقوله: ﴿وَحِيدًا ﴾ فيه عدة أوجه:

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير،باب مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عنادا وحسدا وبغيا وجحودا ٣/٦١.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٩/٣٠٤.

أحدها: أنه حال من الياء في﴿ ذَرْنِي ﴾ أي: ذرني وحدي معه فأنا أكفيك في الانتقام منه.

الثاني: أنه حال من التاء في "خلقت" أي:خلقته وحدي، لم يَشرَكني في خلقه أحد، فأنا أَملكه.

الثالث: أنه حال من " مَن ".

الرابع: أنه حال من عائد المحذوف أي:خلقته وحيدا.

الخامس: أن ينتصب على الذم، و"وحيدا" كان لقبا للوليد بن المغيرة، وإذا كان لقبا تعين نصبه على الذم[1].

قوله: ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ فيه عدة أقوال:

أحدها: غَلة شهر بشهر ، أخرج ذلك الطبري عن عمر بن الخطاب.

الثاني: ألف دينار؛ أخرج ذلك الطبري عن مجاهد وسعيد بن جبير.

الثالث: أربعة آلاف، أخرج ذلك الطبري عن سفيان.

الرابع: أنه بستان له بالطائف لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفا،قاله مقاتل.

وقال ابن جرير: والصواب في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ وهو الكثير، الممدود عدده أو مساحته [2].

والأَولى في معنى الممدود:أن يكون ما يُمدُّ بالزيادة والنماء، كالزرع، والضرع، والتجارة.

---

(١) ينظر: الدر المصون للحلبي ١٠/٥٤٢.

(٢) ينظر جامع البيان للطبري٢٣/٤٢٤، وزاد المسير ٨/٤٠٤، ومعالم التنزيل للبغوي ٨/٢٦٦.

قال الزجاج: (أي غير منقطع عنه)[١].

قوله: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: حضورا معه لا يحتاجون إلى التصرف والسفر فيغيبوا عنه، واختُلف في عددهم، فقيل: عشرة، قاله مجاهد وقتادة، وقيل: ثلاثة عشر، قاله ابن جبير، وقيل: اثنا عشر، قاله السدي، وقيل: سبعة، قاله مقاتل[٢].

قوله: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا﴾ أي : يرجو أن أزيده مالا وولدا وتمهيدا.

﴿كَلَّا﴾ لا أفعل ذلك ولا أزيده، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك [٣].

قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ أخرج الطبري عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(الصَّعود: جبل من نار يَصعد فيه سبعين خريفا، ثم يهوي به كذلك منه أبدا) [٤].

وهذا تمثيل لضد الحالة المجملة في قوله:﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أي: سينقلب حاله من حال راحة وتنعُّم، إلى حالة سوء في الدنيا ثم إلى العذاب

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٤٦/٥،والبسيط ٤٢٠/٢٢.

(٢) ينظر جامع البيان ٤٢٤/٢٣، وزاد المسير ٤٠٥/٨، ومعالم التنزيل ٢٦٧/٨.

(٣) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٢٦٧/٨.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٤٢٧/٢٣، والإمام أحمد في المسند ٢٤٠/١٨،ح١١٧١٢،وقال محققوه: ضعيف، والترمذي في كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة قعر جهنم،وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث ابن لهيعة ٧٠٢/٤. والحاكم في المستدرك ٥٠٧/٢، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وضعيف سنن الترمذي سورة المدثر ٦٥٧-٣٥٦١،ص٤٣٠، وضعيف الجامع الصغير ح٣٥٥٢،ص٥١٩.

الأليم في الآخرة، وكل ذلك إرهاق له، وقيل في معنى ذلك: أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا[1].

وقد وزّع وعيده على ما تقتضيه أعماله، فإنه لما ذكر عناده وهو من مقاصده السيئة الناشئة عن محافظته على رئاسته وعن حسده النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك من الأغراض الدنيوية، عقّب بوعيده بما يشمل عذاب الدنيا ابتداء.

ولما ذكر طعنه في القرآن بقوله : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ وأنكر أنه وحي من الله بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ أردف بذكر عذاب الآخرة بقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[2].

قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

قد وصف الله حاله في تردده وتأمله بأبلغ وصف، فابتُدئ بذكر تفكيره في الرأي الذي سيصدر عنه وتقديره، فمعنى: ﴿فَكَّرَ﴾:أي أعمل فكره وكرر نظر رأيه ليبتكر عذرا يُموِّهه ويُروجه على الدهماء في وصف القرآن بوصف كلام الناس ليزيل منهم اعتقاد أنه وحي أُوحي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿وَقَدَّرَ﴾أي: جعل قدْرا لما يخطر بخاطره من الوصف الذي يصف به القرآن، أو ما يَسِم به النبي صلى الله عليه وسلم، مثال ذلك أن يقول في نفسه: نقول: محمد مجنون، ثم يقول: المجنون يُخنق ويَتَخالج ويُوسوس، وليس محمد

(١) ينظر: البسيط ٢٢/٤٢٢،ومعالم التنزيل ٨/٢٦٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/٣٠٧.

كذلك،...إلى أن قال: نقول هو ساحر، فإن السحر يُفرِّق بين المرء وذويه، ومحمد يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه،فقال للناس:نقول إنه ساحر ، فهذا معنى قدر.

وقوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ هو إنشاء شتم مُفرَّع على الإخبار عنه بأنه فكر وقدر؛ لأن الذي ذكر يوجب الغضب عليه، فالفاء لتفريع ذمه على سيء فعله، وقتل: دعاء عليه بأن يقتله قاتل، أي دعاء عليه بتعجيل موته؛ لأن حياته حياة سيئة،وهذا الدعاء مستعمل في التعجيب من حاله والرثاء له كقوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وقد يستعمل مثله في التعجيب من حسن الحال يقال: قاتله الله ما أشجعه، لكن المقام هنا متعين للكناية عن سوء حاله لأن ما قدره ليس مما يغتبط ذوو الألباب على إصابته، إذ هو قد ناقض قوله ابتداء إذ قال: ما هو بعقد السحرة ولا نفثهم، وبعد أن فكر قال:"إن هذا إلا سحر يؤثر" فناقض نفسه.

وقوله: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تأكيد لنظيره المفرَّع بالفاء. وإذا كان المعطوف عين المعطوف عليه أفاد أن معنى المعطوف عليه ذو درجات متفاوتة مع أن التأكيد يكسب الكلام قوة [1].

و﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ في الموضعين متحد المعنى وهو اسم استفهام دال على الحالة التي يبينها متعلَّق﴿كَيْفَ﴾. والاستفهام موجه إلى سامع غير معين يَستفهم المتكلمُ سامعه استفهاما عن حالة تقديره، وهو استفهام مستعمل في التعجيب المشوب بالإنكار على وجه المجاز المرسل. و﴿كَيْفَ﴾ في محل نصب على

(١) ينظر: الدر المصون ٥٤٤/١٠، والتحرير والتنوير ٣٠٩/٢٩.

الحال مقدمة على صاحبها لأن لها الصدر وعاملها ﴿قَدَّرَ﴾ .

وقوله: ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ عطف على ﴿وَقَدَّرَ﴾ وهي ارتقاء متوال فيما اقتضى التعجيب من حاله والإنكار عليه.فالتراخي تراخي رتبة لا تراخي زمن؛ لأن نظره وعُبوسه وبَسَره وإدباره واستكباره مقارنة لتفكيره وتقديره. والنظر هنا:نظر العين ليكون زائدا على ما أفاده ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والمعنى: نظر في وجوه الحاضرين يستخرج آراءهم في انتحال ما يصفون به القرآن. و﴿عَبَسَ﴾: قَطَّب وجهه لما استعصى عليه ما يصف به القرآن ولم يجد مغمَزا مقبولا.

و﴿وَبَسَرَ﴾:معناه كلَح وجهه وتغير لونه خوفا وكمدا حين لم يجد ما يشفي غليله من مطعن في القرآن لا ترده العقول [1].

ويقال: بَسَرَ يَبْسُرُ بَسْراً وبُسُوراً: إذا قبض ما بين عينيه كراهية للشيء، واسود وجهه منه. يقال: وجه باسر أي: منقبض أسود.

وأهل اليمن يقولون: بسر المركب وأبسر: إذا وقف. وأبسرنا أي صرنا إلى البسور[2].

وقال الراغب: البسر:الاستعجال بالشيء قبل أوانه نحو: بسر الرجل الحاجة: طلبها في غير أوانها. وماء بَسْر: مُتناوَل من غديره قبل سكونه، ومنه قيل للذي لم يُدرِك من التمر: بُسْر[3].

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/٣٠٩.

(٢) ينظر: الدر المصون ١٠/٥٤٣.

(٣) ينظر: المفردات للراغب مادت :بسر ص٤٦.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ الإدبار هنا: وصف للحالة التي كان عليها الوليد، ويجوز أن يكون مستعارا لتغيير التفكير الذي كان يفكره ويقدره يأسا من أن يجد ما فكر في انتحاله فانصرف إلى الاستكبار والأنفة من أن يشهد للقرآن بما فيه من كمال اللفظ والمعنى.ويجوز أن يكون مستعارا لزيادة إعراضه عن تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فهذه الجمل وصفت أشكاله التي تشكل بها لمَّا أجهد نفسه لاستنباط ما يصف به القرآنَ وذلك تهكُّم بالوليد.

وصيغة الحصر في قوله ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ مُشعرة بأن استقراء أحوال القرآن بعد السبر والتقسيم أنتج له أنه من قبيل السحر،فهو قَصْر تعيينٍ لأحد الأقوال التي جالت في نفسه؛ لأنه قال: ما هو بكلام شاعر ولا بكلام كاهن ولا بكلام مجنون. ووَصَف هذا السحر بأنه مأثور، أي: مَرويّ عن الأقدمين، يقول هذا ليدفع به اعتراضا يرِد عليه أن أقوال السحرة وأعمالهم ليست مماثلة للقرآن ولا لأحوال الرسل، فزعَم أنه أقوال سحرية غير مألوفة.

وجملة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ بدل اشتمال من جملة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ بأن السحر يكون أقوالا وأفعالا فهذا من السحر القولي. وهذه الجملة بمنزلة النتيجة لما تقدم ؛لأن مقصوده من ذلك كله أن القرآن ليس وحيا من الله[1].

ما يستنبط من الآيات:

١- ثبوت النفخ في الصور، وهذه نفخة الفزع، أي أن الناس يقومون من قبورهم فزعين.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣١٠.

٢- عسر ذلك اليوم وشدته على الكافرين.

٣- يسر ذلك اليوم وسهولته على المؤمنين.

٤- من تمام حفظ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن تولى أمر عدوه الوليد ابن المغيرة.

٥- (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[١].

٦- مع كثرة ما منَّ الله به على الوليد من المال والولد إلا أنه لم يقتنع بذلك ويطمع في المزيد.

٧- شدة نهم الكافر وعدمُ قناعته من حطام الدنيا.

٨- مخاطبة الكافر بالأسلوب المناسب لكبريائه وغطرسته،ولذلك أجابه الله بـ :كلا التي هي كلمة ردع وزجر.

٩- أن قوة التفكير ورجاحة العقل ليست هي التي تَهدي العبد إلى الطريق المستقيم.

١٠- تناقض الكافر مع نفسه، حيث وصف القرآن بالوصف اللائق به أولا ثم ناقض نفسه وقال: هذا سحر يؤثر هذا قول البشر.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (وكذلك أخذ ربك إذا القرى وهي ظالمة..) سورة هود ٥/٢١٤ح ٤٦٨٦.

المبحث الرابع: النار المتوعَّد بها الكفار وأوصافها.

قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي سأدخله سقر كي يصلى حرها . وإنما سميت سقر من سقرته الشمس: إذا أذابته ولوحته،وأحرقت جلدة وجهه. قال ابن عباس: هي الطبق السادس من جهنم [١].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾. قرأ أبو عمرو وابن ذكوان عن ابن عامر: (أدريك) بكسر الراء، وروى هبيرة عن حفص عن عاصم:(أدريك) بكسرها. وروى غيره عن حفص عن عاصم:(أدراك) بفتحها، وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم: (أدريك) كسرا[٢].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ ؟ هذه مبالغة في وصفها؛ أي وما أعلمك أي شيء هي؟ وهي كلمة تعظيم، ثم فسر حالها فقال: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي لا تترك لهم عظما ولا لحما ولا دما إلا أحرقته. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ جملة حالية من ﴿سَقَرُ﴾ أي سقر التي حالها لا ينبئك به منبئ، وهذا تهويل لحالها، و﴿مَا سَقَرُ﴾ في محل مبتدأ وأصله: سقر ما، أي ما هي، فقدم ﴿مَا﴾ لأنه اسم استفهام وله الصدارة، فإن ﴿مَا﴾ الأولى استفهامية.والمعنى: أي شيء يدريك، أي: يعلمك. و﴿مَا﴾ الثانية استفهامية في محل رفع خبر عن ﴿سَقَرُ﴾ وسقر اسم من أسماء النار فإن

(١) ينظر: المحرر والوجيز ١٦٠/١٦، والجامع لأحكام القرآن ٧٧/١٩، والتفسير الكبير للرازي ٢٠٢/٣٠.

(٢) ينظر: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٦٥٩.

لها عدة أسماء، وهي:جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية[1].

وجملة ﴿لَا تُبْقِي﴾ بدل اشتمال من التهويل الذي أفادته جملة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ فإن من أهوالها أنها تهلك كل من يصلاها، والجملة خبر ثان عن سقر،وحذف مفعول ﴿تُبْقِي﴾ لقصد العموم، أي: لا تبقي منهم أحدا أو لا تبقي من أجزائهم شيئا.

وجملة ﴿وَلَا تَذَرُ﴾عطف على ﴿لَا تُبْقِي﴾ فهي في معنى الحال، ومعنى ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تترك من يُلقى فيها، أي: لا تتركه غير مَصْليّ بعذابها، وهذه كناية عن إعادة حياته بعد إهلاكه كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[2].

و﴿لَوَّاحَةٌ﴾خبر ثالث عن﴿سَقَرُ﴾ولواحة :فَعَّالة، من اللَّوْح وهو تغيير الذات من (أَلَمٍ) ونحوه[3].

والبشر فيه وجهان:

أحدهما: أنه الإنس من أهل النار، قاله الأخفش والأكثرون.

الثاني: أنه جمع بَشَرة، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، قاله مجاهد والفراء والزجاج وقتادة[4].

---

(١) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٤٩/٥،ومعالم التنزيل ٢٧٢/٨،والجامع لأحكام القرآن ٨٥/١٩.

(٢) سورة النساء الآية (٥٦).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٦٩/٥،والتحرير والتنوير ٣١٢/٢٩.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٤٠٧/٨، والجامع لأحكام القرآن ٧٨/١٩.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المعنى: أنه يلي أمر تلك النار ويقوم على أهلها تسعة عشر ملكا، وقيل: تسعة عشر صنفا [١]، وقيل: تسعة عشر صفا، قال المفسرون: يقوم على النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، مالك ومعه ثمانية عشر ملكا، والصحيح إن شاء الله: أن هؤلاء التسعة عشر ، هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [٢][٣].

وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث، عن البراء أن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم، فجاء فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل عليه ساعة إذ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [٤].

وذكر البغوي عن ابن عباس وقتادة لما نزل قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أسمَعُ ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهم أي: الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم؟ قال أبو الأشد أسيد ابن كلدة بن خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم

---

(١) لعل المراد بذلك عدد من أصناف الملائكة،وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي العوام أن الصحيح تسعة عشر ملكا بدليل قوله:(وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) المصنف ١٣/١٧٤.

(٢) سورة المدثر الآية (٣١).

(٣) ينظر الوسيط ٤/٣٨٤، والتفسير الكبير ٣٠/٢٠٣، وزاد المسير ٨/٤٠٧،والجامع لأحكام القرآن ١٩/٨٠

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٢٦٩، و ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/١٧٣، وذكره السيوطي في لباب النقول ص٢٢٤.

اثنين. وروي أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[1].

ما يستنبط من الآيات:

١- حكَم سبحانه على هذا الكافر بالنار؛ لعلمه سبحانه أنه يموت على الكفر.

٢- أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، فمن أسمائها جهنم، والهاوية، ولظى.

٣- تهويل أمر النار وبيان فظاعتها.

(١) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٨/٢٧٠، ولباب النقول للسيوطي ص ٢٢٤.

المبحث الخامس: الحكمة من عدد خزنة جهنم.

قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا .. الآية﴾

أخرج الطبري عن ابن عباس:أن أبا جهل لما سمع قوله تعالى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم إن ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهْم[١]، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأتي أبا جهل ، فيأخذ بيده في بطحاء مكة ، فيقول له:﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾[٢]،فلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل:والله لا تفعل أنت ولا ربك شيئا، فأخزاه الله يوم بدر[٣].

وقال ابن عطية في تفسير هذه الآية:هذا تبيين لفساد أقوال قريش، أي: إنا جعلناهم خلقا لا قِبَل لأحد من الناس بهم وجعلنا عدَّتهم هذا القدْر فتنة للكفار؛ ليقع منهم من التعاطي والطمع في المغالبة ما وقع، وليستيقن أهل الكتاب:التوراة والإنجيل أن هذا القرآن من عند الله، إذ هم يَجدون هذه العِدَّة في كتبهم المنزلة التي لم يقرأها محمد صلى الله عليه وسلم ولا هو من أهلها، ولكن كتابه يُصدِّق ما بين يديه من كتب الأنبياء، إذ جميع ذلك حق يتعاضد مُنزل من عند الله، قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد وغيرهم، وبورود الحقائق

---

(١) الدهم: العدد الكثير ،النهاية في غريب الحديث،مادة (دهم) ٢/١٤٥.

(٢) سورة القيامة الآية (٣٤-٣٥).

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٢٣/٤٣٦.

من عند الله عز وجل ، يزداد كل ذي إيمان إيمانا ويزول الريب عن المصدِّقين من أهل الكتاب ومن المؤمنين، وقوله: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نوع من الفتنة لهذا الصنف المنافق أو الكافر، أي: جاروا وضلوا ولم يهتدوا لقصد الحق، فجَعلوا يَستفهم بعضهم بعضا عن مراد الله تعالى بهذا المثل، استبعادا أن يكون هذا من عند الله، قال الحسين بن الفضل :السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، فإنما المرض في هذه الآية الاضطراب وضَعف الإيمان[1].

وقال السدي: قال أبو الأشد بن كلدة الجمحي :لا يهولنكم التسعة عشر،أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة، ثم تمرون إلى الجنة؛يقولها مستهزئا وفي رواية أن الحرث ابن كلدة قال: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين.

وقيل: إن أبا جهل قال:أفيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم،ثم تخرجون من النار.

وقيل: جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانِس من الرأفة والرقة، ولا يَستروِحون إليهم، ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمَن هوادتهم؛ ولأنهم أشد خلق الله بأسا وأقواهم بطشا [2].

وقوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تتميم في إبطال توهم المشركين حقارة عدد خزنة النار، وهو كلام جار على تقدير الأسلوب الحكيم، إذ الكلام

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١٦٢/١٦، وينظر الجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٩.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٨٠/١٩.

قد أثار في النفوس تساؤلا عن فائدة جعل خزنة جهنم تسعة عشر وهلاً كانوا آلافا ليكون مرآهم أشد هولا على أهل النار، أو هلا كانوا ملكا واحدا فإن قوى الملائكة تأتي كل عمل يسخرها الله له، فكان جواب هذا السؤال: أن هذا العدد قد أظهر لأصناف الناس مبلغ فهم الكفار للقرآن.وإنما حصلت الفتنة من ذكر عددهم في الآية السابقة، فقوله ﴿وَمَاجَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ تقديره: وما جعلنا ذكر عدتهم إلا فتنة، ولاستيقانِ الذين أوتوا الكتاب، وازدياد الذين آمنوا إيمانا، واضطراب الذين في قلوبهم مرض، فيَظهَر ضلال الضالين واهتداء المهتدين[١].

والاستثناء من عموم الأنواع، أي: ما جعلنا خزَنة النار من نوع إلا من نوع الملائكة.

وصيغة القصر تفيد قلب اعتقاد أبي جهل وغيره ما توهموه أو تظاهروا بتوهمه أن المراد تسعة عشر رجلا، فطمع أن يَخلُص منهم هو وأصحابه بالقوة. والاستيقان: قوة اليقين، فالسين والتاء فيه للمبالغة. والمعنى: ليستيقنوا صدق القرآن حيث يجدون هذا العدد مصدِّقا لما في كتبهم.والاستيقان من شأنه أن يعقبه الإيمان إذا صادف عقلا بريئا من عوارض الكفر، كما وقع لعبد الله بن سلام، وقد لا يعقبه الإيمان لمكابرة أو حسد أو إشفاق من فوات جاه أو مال كما كان شأن كثير من اليهود[٢].

أما وجه تأثير إنزال هذا المتشابه في استيقان أهل الكتاب؟ فالجواب من عدة وجوه:

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/٣١٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/٣١٥.

أحدها: أن هذا العدد لما كان موجودا في كتابهم، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بما وافق ما عندهم في كتابهم من غير سبق دراسة ولا تعلُّم، ظهر أن ذلك إنما حصل بسبب الوحي من السماء فيزداد الذين آمنوا من أهل الكتاب بذلك إيمانا.

الثاني: أن التوراة والإنجيل كانا محرفين، وأهل الكتاب يجدون فيها أن عدد الزبانية هو هذا العدد المذكور هنا، ولكنهم ما كانوا يعتمدون على ذلك اعتمادا جازما لعلمهم بتطرق التحريف إلى كتبهم، فلما سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوي إيمانهم بذلك واستيقنوا أن ذلك العدد هو الحق والصدق.

الثالث: معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم من حال قريش أنه متى أخبرهم بهذا العدد العجيب، فإنهم يستهزئون به ويضحكون منه؛لأنهم كانوا يستهزئون به في إثبات التوحيد والقدرة والعلم، مع كون هذه المسائل أوضح وأظهر، فكيف في ذكر هذا العدد العجيب؟

ومع ذلك فإن استهزاءهم وسخريتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لم تمنعه من إظهار هذا الحق، والتصريح بهذا العدد، فعند هذا يعلم كل أحد أنه لو كان غرض محمد صلى الله عليه وسلم طلب الدنيا والرياسة لاحترزَ عن ذكر هذا العدد العجيب، فلما ذكره مع علمه بما سيحصل منهم من سخرية واستهزاء، علم كل عاقل أن مقصوده إنما هو تبليغ الوحي، ولا يبالي مقابل ذلك لا بتصديق المصدقين ولا بتكذيب المكذبين[1].

(١) ينظر: التفسير الكبير ٢٠٦/٣٠.

ما يستنبط من الآيات:

١- سعة علم الله وحكمته، بجعل هذا العدد لخزنة جهنم: فتنة للذين كفروا، ويقينا للذين أوتوا الكتاب، وزيادة في إيمان الذين آمنوا، وعدم الشك والريب من الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، وحيرة وترددا للذين في قلوبهم مرض والكافرون.

٢- ضرب الأمثلة للمخاطبين لتكون أقرب للفهم وأدعى للاستجابة.

٣- أن الهداية والإضلال بيد الله وحده.

٤- تفرد الله وحده واختصاصه بمعرفة عدد جنوده سبحانه وتعالى.

٥- تذكير الله للبشر ليتعظوا وينتبهوا، ويستعدوا للقاء الله بما ينجيهم من عذابه.

٦- انتفاع المؤمنين بالذكرى ووقوع الكافرين في الخُسرى.

المبحث السادس: مع الأيمان الثلاثة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿كَلَّا﴾: قال الزمخشري: كلا إنكار – بعد أن جعلها ذكرى – أن تكون لهم ذكرى؛ لأنهم لا يتذكرون، ورد عليه أبو حيان: بأن هذا لا يسوغ في حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر، ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى وإنما قوله للبشر عام مخصوص. أو هي ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيرا[1].

وقيل: ردع لقول أبي جهل وأصحابه أنهم يَقدِرون على مقاومة خزنة جهنم.

(١) الكشاف ٤/١٦٠، والبحر المحيط ٨/٣٧٨.

وقيل: ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة؛ولذلك أجاز الطبري الوقف عليها،وجعلها ردا للذين يزعمون أنهم يقاومون خزنة جهنم ؛أي ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار(١).

قوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ أقسم سبحانه بهذه الثلاثة تشريفا لها وتنبيها على النظر في عجائبها وقدرة الله في جريانها وحركاتها المختلفة مع كثرتها واختلافها مع كونها على نظام ثابت لا يختل ، فيعود التعظيم في آخر الفكرة وتحصيل المعرفة إلى الله تعالى مالك الكل وقوام الوجود ونور السماء والأرض،لا إله إلا هو العزيز القهار(٢).

ومناسبة القسم بالقمر، والليل إذ أدبر، والصبح إذا أسفر: أن هذه الثلاثة تظهرَ بها أنوار خلال الظلام، فناسبت حالَي الهدى والضلال من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ومن قوله ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ ففي هذا القسَم تلويح إلى تمثيل حال الفريقين من الناس عند نزول القرآن بحال اختراق النور للظلمة(٣).

قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾.قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وابن عامر والكسائي:(إذا دَبر) بفتح الدال على معنى انقضى، فهو أمر لم يمض؛ لأن (إذا) لما يستقبل، و (إذ) لما مضى.

وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ بتسكين الدال

(١) ينظر جامع البيان ١٦٢/٢٩،وإعراب القرآن للنحاس ٧١/٥.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ١٦٣/١٦، والبحر المحيط ٣٧٨/٨.

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٢/٢٩.

جعلوه أمرا قد مضى فالمعنى: والليل إذا تولى، يقال: دبر وأدبر، إذا تولى[١].

وقال ابن جرير:والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان، صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[٢].

قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ جواب القسم، والهاء كناية عن النار، أي أنها كبيرة في حال الإنذار، أي: أنها لإحدى الدواهي، وواحد الكبر:كبرى، قال مقاتل والكلبي: أراد بالكبر: دركات جهنم ، وهي سبعة[٣].

قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾. كلهم قرأ: ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ بهمز إحدى، إلا ابن كثير قرأ:(لَحْدى الكبر) لا يهمز ولا يكسر. وقرأت على قنبل عن ابن كثير: ﴿لَإِحْدَى﴾مثل أبي عمرو مهموز [٤].

قوله: ﴿نَذِيرًا﴾ قال الفراء: هو مصدر نُصب بإضمار فعل، أي: أَنذِرْ إنذارا، واحتمل أن يكون اسم فاعل بمعنى: مُنذِر، وقال الزجاج:نصب على الحال، وذكر نذيرا؛ لأن معناه معنى العذاب، ويجوز أن يكون التذكير على قولهم : امرأة طاهر وطالق، أي ذات طهر وطلاق، وكذلك نذير ذات إنذار.

واختار أبو البقاء العكبري: أن يكون حالا مما دلت عليه الجملة تقديره: عظُمت عليه نذيرا.

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٣٣٨/٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ٣٤٧/٢.

(٢) جامع البيان للطبري ٤٤٢/٢٣.

(٣) سبق الإشارة إليها في المبحث الرابع ص ٤٢.

(٤) كتاب السبعة لابن مجاهد ص٦٥٩، والحجة لأبي علي الفارسي ٣٣٩/٦.

وأيد هذا القول أبو حيان في البحر المحيط وقال:هو قول لا بأس به[1].

وقد ذكر صاحب الدر المصون ستة عشر وجها في إعرابها[2].

قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها[3].

قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ اللام متعلقة بـ"نذيرا"، أي نذيرا لمن شاء أن يتقدم إلى الخير والطاعة، أو يتأخر إلى الشر والمعصية؛ نظيره: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ﴾ أي في الخير ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾[4]، عنه. قال الحسن: هذا وعيد وتهديد وإن خرج مخرج الخبر؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[5].

وقال بعض أهل التأويل: معناه لمن شاء الله أن يتقدم أو يتأخر، فالمشيئة متصلة بالله جل ثناؤه، والتقديم الإيمان، والتأخير الكفر. وكان ابن عباس يقول: هذا تهديد وإعلام أن من تقدم إلى الطاعة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع، ومن تأخر عن الطاعة وكذَّب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع[6].

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٢٠٥/٣، ومعاني القرآن للزجاج ٢٤٩/٥، وإملاء ما من به الرحمن ٢٧٣/٢، والبحر المحيط ٣٧٩/٨.

(٢) الدر المصون للسمين الحلبي ٥٥٢/١٠.

(٣) معالم التنزيل ٢٧٢/٨، والجامع لأحكام القرآن ٨٥/١٩.

(٤) سورة الحجر الآية (٢٤).

(٥) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٦) الجامع لأحكام القرآن٨٦/١٩.

ما يستنبط من الآيات:

١- استخدام أسلوب الردع والزجر مع الكفار.

٢- أنّ القسم لا يكون إلا عند الأمور العظام.

٣- أنّ وصف النار وتعظيم شأنها، فيه نذارة لمن شاء الله أن ينتفع بهذه الذكرى.

٤- أنّ للعبد مشيئة وإرادة ولكنها تابعة لمشيئة الله وإرادته.

٥- وصف المهتدي المتقي بأنه متقدِّم؛ لأنه يسعى إلى تخليص نفسه.

٦- وصف الضال المعرض بأنه متأخر؛لأنه قد تقاعس عن القيام بما ينجيه.

المبحث السابع: مع النفس المرتهَنة بكسبها.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ﴾ أي مرتهَنة بكسبها، مأخوذة بعملها، إما خلصها وإما أوبقها، وليست رهينة تأنيث رهين في قَوْلُه: ﴿ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]، لتأنيث النفس؛ لأنه لو قُصدت الصفة لقيل رهين؛ لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن، كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهْن[2].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ﴾ اختلف في المراد بأصحاب اليمين في الآية:

فقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : هم الملائكة، أخرج ذلك عنه الطبري، وذكره البغوي منسوبا لابن عباس،ونسبه ابن عطية لابن عباس، وكذا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن[3].

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : هم أطفال المسلمين، أخرج ذلك عنه الطبري، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف عن علي، وأخرجه الحاكم عن علي، ونسبه ابن عطية لعلي، وكذا البغوي والقرطبي والسيوطي، ورجح ذلك الفراء وقال: هو شبيه بالصواب؛ لأن الوِلْدان لم يكتسبوا ما يُرتهنون به[4].

---

(١) سورة الطور الآية (٢١).

(٢) ينظر الكشاف ١٦١/٤، والجامع لأحكام القرآن ٨٦/١٩.

(٣) جامع البيان٢٣/٤٥٠،ومعالم التنزيل٨/٢٧٢،والمحررالوجيز١٦/١٦٥،والجامع لأحكام القرآن ٨٦/١٩.

به[١].

وقال مقاتل: هم أصحاب الجنة، ذكر ذلك عنه البغوي، والقرطبي[٢].

وقال الضحاك: هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، ونحوه عن ابن جريج[٣].

وقال الحسن وابن كيسان: هم المسلمون المخلصون وليسوا بمرتهنين[٤].

ولعل الراجح من هذه الأقوال والله أعلم: قول علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنهم أطفال المسلمين؛ وذلك لأنه وافقه عليه ابن عمر، ومجاهد، واختاره الفراء، والزجاج، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي [٥].

ما يستنبط من الآيات:

١- أن النفوس مرتهنة بأعمالها، فقد تسعدها وتنجيها، وقد توبقها وتشقيها.

٢- أن الإنسان محاسَب على جميع أعماله التي يعملها.

٣- أن الإنسان له إرادة مستقلة وكسب واختيار.

٤- أن أصحاب اليمين هم السعداء الناجون في ذلك اليوم المهول.

---

(١) جامع البيان ٢٣/٤٥٠، ومصنف ابن أبي شيبة ١٣/٢٨٥، والمستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/٥٠٧،ومعالم التنزيل ٨/٢٧٢، والمحرر الوجيز ١٦/١٦٥،والجامع لأحكام القرآن ١٩/٨٧،والدر المنثور ١٥/٨٥، ومعاني القرآن للفراء ٣/٢٠٥.

(٢) معالم التنزيل ٨/٢٧٣، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٨٧.

(٣) المحرر الوجيز ١٦/١٦٥، وزاد المسير ٨/٤١١، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٨٧.

(٤) المحرر الوجيز ١٦/١٦٦،ومعالم التنزيل ٨/٢٧٣، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٨٧.

(٥) المستدرك ٢/٥٠٧.

المبحث الثامن: تساؤل أهل الجنات عن سبب دخول المجرمين النار

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾

قال أبو حيان: (ظاهر هذا أنه استثناء متصل. (في جنات) أي: هم في جنات يتساءلون، أي: يسأل بعضهم بعضا، أو يكون يتساءل بمعنى يسأل أي: يسألون عنهم غيرهم، كما يقال: دعوته وتداعوته بمعناه، وعلى هذين التقديرين كيف (جاء ما سلككم في سقر) بالخطاب للمجرمين وفي الكلام حذف، المعنى: أن أصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم عن من غاب من معارفهم، فإذا عرفوا أنهم مجرمون في النار قالوا لهم أو قالت الملائكة، هكذا قدره بعضهم، والأقرب أن يكون التقدير: يتساءلون عن المجرمين قائلين لهم بعد التساؤل ما سلككم في سقر)[1].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ ذكر المجرمون هنا أربعة أسباب لدخولهم النار هي أصول الخطايا وهي: أنهم لم يكونوا من أهل الصلاة، التي هي صلة بين العبد وربه، فحرموا أنفسهم من التقرب إلى الله، وأنهم لم يكونوا من المطعمين المساكين، وفي هذا حرمان لضعفاء الناس حقهم من المال، وأنهم كانوا يخوضون مع الخائضين في كل باطل من تأييد للشرك ورفض للحق والدين، وأنهم كانوا يكذبون بيوم الجزاء على الأعمال، فلم يقدِّموا

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٨/٣٨٠.

ما ينجيهم في ذلك اليوم[١]، وهذا اعتراف من الكفار على أنفسهم، وفي نفي الصّلاة يدخل الإيمان بالله والمعرفة به والخشوع والعبادة، والصلاة تنتظم على مُعظَمَ الدين وأوامر الله تعالى وواجبات العقائد، وإطعامُ المساكين ينتظم الصدقة فرضا وطواعية، وكل إجمال ندبت إليه الشريعة بقول أو فعل، والخوضُ مع الخائضين عُرفُه في الباطل، قال قتادة: المعنى كلما غَوى غاو غووا معه، والتكذيب بيوم الدين كفر صراح وجهل بالله تعالى، واليقين معناه: صحة ما كانوا يكذِّبون به من الرجوع إلى الله تعالى والدار الآخرة، وقال المفسرون:اليقين الموت، وذلك هنا متعقَّب؛ لأن نفس الموت يقين عند الكافر وهو حي، فإنما اليقين الذي عنَوا في هذه الآية: الشيء الذي كانوا يكذِّبون به وهم أحياء في الدنيا، فتيقنوه بعد الموت. وإنما يتفسر اليقين بالموت في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[٢][٣].

وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة،كما صرح هنا عنهم، مقررا له أن من أسباب سلوكهم في سقر، أي: دخولهم النار، عدَم الصلاة، وعدم إطعام المسكين، وعد ذلك مع الكفر بسبب التكذيب بيوم الدين[٤].

وفي الإتيان بالأفعال المضارعة في قوله: (لم نك، ونخوض، ونكذب)

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٧/١٤.

(٢) سورة الحجر، الآية (٩٩).

(٣) المحرر الوجيز ١٦٦/١٦، والبحر المحيط ٣٨٠/٨.

(٤) أضواء البيان للشنقيطي ١١٤/٧.

دليل على أن ذلك ديدنهم ومتجدد منهم طول حياتهم.

وفي الآية إشارة إلى أن المسلم الذي أضاع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مستحق حظا من سقر على مقدار إضاعته، وعلى ما أراد الله من معادلة حسناته وسيئاته،وظواهره وسرائره، وقبل الشفاعة وبعدها [1].

ما يستنبط من الآيات:

١- تساؤل أصحاب اليمين في ذلك اليوم عن المجرمين، إنما هو إنكار للحالة التي هم عليها في النار.

٢- اعتراف الكفار في ذلك اليوم بتقصيرهم بالقيام بما يجب لله لا ينجيهم من عذابه.

٣- في تصريح الكفار بعدم قيامهم بتلك العبادات، دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.

٤- فضل المحافظة على الصلاة، وأنها تنجي صاحبها يوم القيامة.

٥- فضل إطعام المساكين، حيث قُرن مع الصلاة والتصديق بيوم الدين.

٦- خطورة الخوض في كل الأمور، دون تحر للصواب واختيار للأفضل.

٧- التكذيب بيوم الدين سبب لحبوط أعمال العبد التي يتقرب بها إلى الله.

٨- أن اعتراف الكفار بذلك اليوم إذا عاينوا العذاب لا ينفعهم عند الله.

٩- في يوم القيامة تنكشف الأمور وتظهر الحقائق، ولكن ذلك لا يفيد الكفار شيئا.

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٢٨/٢٩.

المبحث التاسع: تعنُّت الكفار وعدم انتفاعهم من الشفاعة يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلا أربعة، ثم تلا: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ...إلى قوله.. بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

قال عمران بن حصين – رضي الله عنه – : الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون[١].

أي: لا شفاعة لهم، فلا انتفاع بها، وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة، كقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٢]، وفي حرمان هؤلاء المجرمين الكافرين من نفع الشفاعة لهم دليل على ثبوت نفعها للمؤمنين على حسب منازلهم[٣].

ذكر العلماء ثمانية أنواع للشفاعة، النوع الثامن منها: شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار ، فيخرجون منها.

---

(١) البسيط ٢٢/٤٥٧ ،ومعالم التنزيل ٨/٢٧٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٢٨).

(٣) معالم التنزيل ٨/٢٧٣، والبحر المحيط ٨/٣٨٠، والدر المصون ١٠/٥٥٦، والتحرير والتنوير ٢٩/٣٢٨.

وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث[1]، بخلاف الكفار فإنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾

والمراد بالتذكرة أي: التذكرة بمواعظ القرآن، فشبههم في نفورهم عن القرآن بالحمر النافرة[2].

وقوله تعالى في صفة الكفار المعرضين بتولٍّ واجتهاد في نفور كأنهم حمر مستنفرة إثباتٌ لجهالتهم؛ لأن الحمر من جاهل الحيوان جدا، قال ابن عباس: المراد الحمر الوحشية شبههم تعالى بالحمر مذمة وتهجينا لهم[3].

قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾.قرأ نافع وابن عامر(مستنفَرة) بفتح الراء ونصب الفاء، والمفضل عن عاصم مثله.

وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ بكسر الفاء.

الكسرة في: ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ أولى، ألا ترى أنه قال: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ فهذا يدل على أنها هي التي استنفرت، ويقال: نفر، واستنفر، مثل: سخر، واستسخر، وعجب واستعجب[4].

---

(١) ينظر شرح الطحاوية ص٢٠٦.

(٢) ينظر البسيط ٢٢/٤٥٧.

(٣) المحرر الوجيز ١٦/١٦٧، والبحر المحيط ٨/٣٨٠.

(٤) كتاب السبعة لابن مجاهد ص٦٦٠، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/٣٤١، وكتاب الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ٢/٧٩٧، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٩٣.

وقال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[١].

واختلف العلماء في المراد بالقسورة على عدة أقوال:

الأول: أن المراد بالقسورة: الأسد، قال بذلك ابن عباس، وأبو هريرة، وزيد بن أسلم، وابنه – رضي الله عنهم – [٢].

الثاني: أن المراد بالقسورة: الرماة، قاله ابن عباس، وأبو موسى الأشعري، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، وابن كيسان – رضي الله عنهم – [٣].

الثالث: أن القسورة: حبال الصيادين، نُسب ذلك إلى ابن عباس في رواية عكرمة [٤].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٣/٤٥٥.

(٢) أخرج ذلك الطبري ٢٣/٤٥٩،وذكره ابن عطية ١٦/١٦٨، وابن الجوزي ٨/٤١٢، و البغوي ٨/٢٧٤،ونسبه إلى من ذكر ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٧/٤٢٩وصحح الدكتور حكمت ياسين في تحقيقه للتفسير طريق زيد بن أسلم،وحسن طريق أخرى عنه،وقال عن رواية أبي هريرة: سندها جيد.

(٣) أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس وأبي موسى ومجاهد وقتادة جامع البيان ٢٣/٤٥٥، ونسبه إليهم ابن عطية في المحرر الوجيز ١٦/١٦٧،وابن الجوزي في زاد المسير ٨/٤١٣،والقرطبي في الجامع ١٩/٨٩،ونسبه ابن كثير لابن عباس وقال:وهو قول الجمهور تفسير القرآن العظيم ٧/٤٢٩،وصحح الدكتور حكمت ياسين طريق مجاهد وقتادة،وأخرجه الحاكم عن أبي موسى وصححه ووافقه الذهبي ٢/٥٠٨

(٤) معالم التنزيل ٨/٢٧٤، وزاد المسير ٨/٤١٣، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٨٩، والدر المنثور ١٥/٩١.

الرابع: أنهم عصب الرجال، أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس، ونسبه إلى ابن عباس ابن الجوزي، والقرطبي، والسيوطي[1].

الخامس: أنه رِكْز الناس، أي: حِسُّهم وأصواتهم، أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس في رواية عطاء، والحافظ ابن حجر في تغليق التعليق، ونسبه إلى ابن عباس وابن الجوزي، وابن عطية، والقرطبي، والسيوطي[2].

السادس: ظلمة الليل، قال عكرمة : هي ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة، ذكر ذلك البغوي، وابن الجوزي، والقرطبي وزاد نسبته إلى ابن الأعرابي، ونسبه ابن عطية إلى ثعلب[3].

ولعل الراجح من هذه الأقوال: هو القول الأول والثاني، أي المراد: الأسد أو الرماة، قال ابن كثير: قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن – رضي الله عنهم – وهو قول الجمهور[4]، ولصِحَّة أسانيد من نسب إليهم ذلك القول، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾

أخرج ابن المنذر عن السدي قال: قالوا: لئن كان محمد صادقا فليصبح

(١) جامع البيان ٤٥٨/٢٣، وزاد المسير ٤١٣/٨، والجامع لأحكام القرآن ٨٩/١٩، والدر المنثور ٩١/١٥.

(٢) جامع البيان ٤٥٨/٢٣، وتغليق التعليق ٣٥٢/٤، وزاد المسير ٤١٣/٨، والمحرر الوجيز ١٦٨/١٦،والجامع لأحكام القرآن ٨٩/١٩، والدر المنثور ٩١/١٥.

(٣) معالم التنزيل ٢٧٤/٨، وزاد المسير ٤١٣/٨، والجامع لأحكام القرآن ٨٩/١٩، والمحرر الوجيز ١٦٨/١٦.

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم ٤٢٩/٧.

تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأَمَنة من النار، فنزلت: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾[١].

وأخرج الطبري عن قتادة قال:قد قال قائلون من الناس: يا محمد إنْ سَرك أن نتبَّعك فأتنا بكتاب، خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتباعك. قال قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل[٢].

وقال ابن عطية:(كان هذا من قول عبد الله بن أبي أمية وغيره، وروي أن بعضهم قال: إن كان يُكتب في صحف ما يعمل كل إنسان فلتُعرض الصحف علينا فنزلت الآية)[٣].

وقال أبو صالح: أنهم أرادوا براءة من النار أن لاَّ يعذبوا بها[٤]، فقال الله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي لا يؤتون الصحف. ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي لا يخافون عذاب الآخرة، والمعنى: أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الدلالة ، ثم قال سبحانه:

﴿كَلَّآ﴾ أي حقا، وقيل : معنى ﴿كَلَّآ﴾ ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنه سحر يؤثر، وأنه قول البشر، ولكنه تذكرة من الله لخلقه ، ذكرهم به[٥].

---

(١) لباب النقول للسيوطي ص٢٢٤، والدر المنثور ٩٢/١٥.

(٢) جامع البيان ٤٦١/٢٣، ومعالم التنزيل٢٧٥/٨، وزاد المسير٤١٣/٨.

(٣) المحرر الوجيز ١٦٨/١٦،و ينظر معاني القرآن للفراء٢٠٦/٣، (٢) ينظر معالم التنزيل ٢٧٥/٨، والمحرر الوجيز ١٦٨/١٦، وزاد المسير ٤١٣/٨.

(٤) زاد المسير ٤١٣/٨.

(٥) ينظر معالم التنزيل ٢٧٥/٨،والمحرر الوجيز ١٦٨/١٦،وزاد المسير ٤١٣/٨.

﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ أي: القرآن تذكير وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي من شاء من عباد الله الذين ذكَّرهم الله بهذا القرآن ذكره، فاتعظ به واستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه.

ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي ما يذكرون هذا القرآن فيتعظون به ويستعملون ما فيه، إلا أن يشاء الله أن يذكروه؛ لأنه لا أحد يَقدِر على شيء إلا بأن يشاء الله أن يُقدره عليه ويعطيه القدرة عليه[1].

قوله: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ قرأ نافع ويعقوب (وما تذكرون) بالتاء، وقرأ الباقون: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ﴾ بالياء[2].

﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: أهل أن يتقى ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ أي: أهل أن يغفر لمن تاب.

وروى أنس بن مالك –رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال:(قال ربكم عز وجل : أنا أهل أن أُتقى، فلا يُشرَك بي غيري، وأنا أهل لِمَن اتقى أن يُشرِك بي غيري أن أغفر له)[3].

---

(١) ينظر جامع البيان ٢٣/٤٦٢،والمحرر الوجيز ١٦/١٦٣،وزاد المسير ٨/٤١٤.

(٢) التبصرة في القراءات ص٧١٤،والمبسوط في القراءات لابن الباذش ص٣٨٧، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٩٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٣/١٤٢،والدارمي في سننه ٢/٣٠٢ كتاب الرقاق باب في تقوى الله، وابن ماجه في سننه ٢/١٤٣٧ح٤٢٩٩باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، والترمذي في سننه ٥/٤٣٠ح٣٣٢٨كتاب التفسير سورة المدثر وقال: هذا حديث غريب وسهيل ليس =

ما يستنبط من الآيات:

١- نفي الشفاعة عن الكفار في ذلك اليوم دليل على ثبوتها في حق المؤمنين.

٢- انتفاع عصاة الموحدين يوم القيامة بالشفاعة، ففي نفيها عن الكفار دليل على ثبوتها لغيرهم، وممن ثبتت لهم الشفاعة في الحديث عصاة الموحدين.

٣- سعة رحمة الله بعباده ولطفه بهم حيث قَبِل شفاعة من يشفع لهم من أنبيائهم.

٤- في تشبيه الكفار بالحمر دليل على دناءة وخسة ما وصلوا إليه من الذلة والمهانة.

٥- تشبيه الكفار بالحمر فيه تنفير من أعمالهم والتشبه بهم.

٦- تشبيه الكفار بالحمر دليل على ما اتصفوا به من البلادة حتى شُبهوا بأخس الحيوانات.

٧- وصف الحمر بالمستنفرة دليل على حيرة وتردد الكفار وعدم استقرارهم.

٨- التصريح بما يطلبه الكفار من الرسول صلى الله عليه وسلم، دلالة واضحة على أن هذا القرآن من عند الله لو كانوا يعقلون أو يدركون.

٩- عدم خوف الكفار من الآخرة مع صراحة الأدلة الحسية والمعنوية على ذلك دليل على ضعف عقولهم وتعنتهم وكبريائهم.

١٠- أن هذا القرآن تذكرة للبشر عموما، كما قال سبحانه: (فذكر بالقرآن من

= بالقوي وقد تفرد بهذا الحديث عن ثابت،وأخرجه الحاكم في المستدرك ٥٠٨/٢ تفسير سورة المدثر وصححه ووافقه الذهبي، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص٣٥٠ح٩٣٦، وضعيف سنن الترمذي ص٤٣٢ح٦٥٩.

يخاف وعيد) لكن الكفار لم ينتفعوا بمواعظه.

١١- أن المشيئة المطلقة لله وحده.

١٢- أن الخالق المدبر أهل أن يُتقى سبحانه وتعالى.

١٣- أن المغفرة بيد الله سبحانه ولا يمنحها إلا لمن امتثل أمره، فعلى هذا الكفار محرومون من المغفرة.

الخاتمة وفيها أهم النتائج:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فقد توصلت من خلال هذا التطواف في معاني هذه السورة العظيمة إلى النتائج التالية:

١- عِظَم الجهود التي بذلها العلماء من سلفنا الصالح، في تفسير كتاب الله حتى وصل إلينا في هذا العصر.

٢- تقدم نزول هذه السورة فهي الثانية في ترتيب النزول.

٣- تعتبر هذه السورة هي الأُولى بالنزول بعد فترة الوحي.

٤- أهمية الصبر ففيه عون على تحمل التكاليف والمشاق.

٥- تكبر الكفار وعنادهم في ردهم لدعوة الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

٦- عدم انتفاع الكفار بعقولهم، حيث كانوا حطبا لجهنم،مع ما هم عليه من فطنة وذكاء.

٧- أنّ من شقاوة الإنسان، أن يتوعد بالنار وهو يسمع ويعقل ويتمتع بجميع حواسه.

٨- اختلاف الخلق بالانتفاع بالدلائل والعبر، فالمؤمنون يزدادون إيمانا، والكفار يزدادون كفرا وضلالا.

٩- اختلاف النفوس بكسبها، وارتهانها بعملها.

١٠- اعتراف الكفار يوم القيامة بكفرهم وضلالهم لا ينجيهم من عذاب الله.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، والحمد لله على ما يسر، وأسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا الجهد كاتبه وقارئه، وأن يجعله خالصا لوجهه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن لابن العربي محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٢. أسباب النزول للواحدي علي بن أحمد الواحدي ،نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية ١٤٠٤هـ.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لـ محمد الأمين الشنقيطي، طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٤. الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش، تحقيق د/عبد المجيد قطامش، دار الفكر بدمشق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٥. إملاء ما من به الرحمن للعكبري عبد الله بن الحسين العكبري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٦. البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف، دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٧. البداية والنهاية لابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

٨. البسيط للواحدي علي بن أحمد الواحدي ،طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٩. البعث والنشور للبيهقي أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق الشيخ: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، مؤسسة الكتب الثقافي

بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٠. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، لم يذكر الناشر.

١١. تغليق التعليق على صحيح البخاري لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي المكتب الإسلامي دار عمار، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٢. تفسير القرآن العظيم لابن كثير إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الأندلس لبنان الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

١٣. التفسير الكبير للرازي محمد بن عمر بن حسين القرشي الدمشقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة.

١٤. تفسير النسائي أحمد بن شعيب بن علي النسائي تحقيق: سعيد الجليمي وصبري الشافعي، مكتبة السنة الدار السلفية لنشر العلم القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٥. تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد الأزهري ، دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ.

١٦. جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري محمد بن جعفر الطبري، مركز البحث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى القاهرة ١٤٢٢هـ.

١٧. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ.

١٨. الحجة للقراء السبعة للفارسي الحسن بن عبد الغفار الفارسي تحقيق:

بدر الدين قهوجي و بشير جويجاتي، دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للحلبي أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي تحقيق د/أحمد الخراط، دار القلم دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٢٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مركز هجر للبحث والدراسات العربية والإسلامية الطبعة الأولى القاهرة ١٤٢٤هـ.

٢١. دلائل النبوة للبيهقي أحمد بن الحسين البيهقي، تخريج وتعليق د/ عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٢. ديوان امرئ القيس تحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٣. زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ.

٢٤. زاد المعاد لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ.

٢٥. الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة محمد بن أحمد بن عقيلة المكي ،مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٦. سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، دار الدعوة تركيا.

٢٧. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، دار الدعوة تركيا.

٢٨. سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ،دار الدعوة تركيا.

٢٩. السنن الكبرى للنسائي أحمد بن شعيب، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٠. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري، دار الدعوة تركيا.

٣١. صحيح الجامع الصغير للألباني محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٣٢. صحيح سنن أبي داود محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٣. صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الدعوة تركيا.

٣٤. الضوء المنير على التفسير لابن القيم، جمع علي بن حمد الصالحي الناشر مؤسس النور للطباعة والتجليد الرياض.

٣٥. غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض.

٣٧. كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د/محمد غوث الندوي، نشر الدار السلفية الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٣٨. كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي البغدادي، تحقيق د/شوقي ضيف، دار المعارف الطبعة الثالثة.

٣٩. كتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة، توزيع دار الباز مكة المكرمة.

٤٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة بيروت.

٤١. الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي تحقيق د/محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ.

٤٢. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٤٣. المبسوط في القراءات العشر لابن مهران أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مؤسسة علوم القرآن بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٤٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

٤٥. المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة د/خالد بن سليمان المزيني، دار بن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٤٦. المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي بيروت.

٤٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة تركيا.

٤٨. مسند الإمام أحمد تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الدكتور: عبد الله التركي، الطبعة الثانية، بيروت لبنان.

٤٩. مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٥٠. المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، اهتم بطبعه مختار السلفي، الدار السلفية الهند الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٥١. معالم التنزيل للبغوي الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض١٤٠٩هـ.

٥٢. معاني القرآن للزجاج إبراهيم بن السري تحقيق: د/عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٥٣. معاني القرآن للفراء يحي بن زياد الفراء، عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٥٤. المعجم الكبير للطبراني سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مطبعة الأمة بغداد.

٥٥. المفردات للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان.

٥٦. النشر في القراءات العشر لابن الجزري محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٧. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير دار الفكر للطباعة والنشر لبنان، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي.

٥٨. الوسيط للواحدي علي بن أحمد الواحدي، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتاب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات:

المقدمة ١٣
المبحث الأول: أهداف السورة وسبب نزولها ووقته..... ١٦
المبحث الثاني: تكريم النبي صلى الله عليه وسلم والتلطف معه وإرشاده. .. ٢٠
المبحث الثالث: الوعيد الشديد لزعيم الكفار الوليد بن المغيرة. ٣٠
المبحث الرابع: النار المتوعد بها الكفار وأوصافها ٤١
المبحث الخامس: الحكمة من عدد خزنة جهنم..... ٤٥
المبحث السادس: مع الأيمان الثلاثة ٤٩
المبحث السابع: مع النفس المرتهنة بكسبها. ٥٤
المبحث الثامن: تساؤل أهل الجنات عن سبب دخول المجرمين النار ٥٦
المبحث التاسع: تعنت الكفار وعدم انتفاعهم من الشفاعة يوم القيامة..... ٥٩
الخاتمة وفيها أهم النتائج..... ٦٧
فهرس المصادر والمراجع..... ٦٨
فهرس الموضوعات ٧٤